كارنا و كونتى

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندى

للأديب شكرى محمد عياد

(كان لكونتى ملكة «بنداوا» قبل زواجها ولد هو كارنا الذى أصبح فى رجولته قائداً لرهط الكيراويين ، ولكى تدفع عن نفسها العار هجرته عند مولده فرباه حوذى اسمه أجيراتا)

كارنا — إننى أنا كارنا ، ابن الحوذي أجيراتا ، أجلس هنا على ضفاف الكنج أعبد الشمس الغاربة ، فمن أنت ؟

كونتى — إننى أنا المرأة التى فتحت عينيك لأول مرة على هذا النور الذى تعبده

كارنا — لست أفهم ، ولكن عينيك تصهران قلبي ، كما تقبّل الشمس ثلجاً على قمة جبل ، وصوتك يبعث فى حنايا صدرى حزناً أعمى ، ثوى السر فيه بنجوة من ذكرياتى الأولى . خبريني أيتها المرأة الغريبة ، أى لغز يصل مولدى بك ؟

كونتى — صبراً جميلاً يا بنى . سوف أجيبك حين تنسدل أجفان الظلام على عيون النهار المستطلعة . أما الآن فاعلم أننى كونتى

كارنا — كونتى ! أمّ أريونا ؟

كونتى — نعم بلا ريب ، أمّ غريمك أريونا . ولكن لا تُبْغِضَنّى لذلك يا ولدى . إننى ما برحت أذكر يوم السلاح فى هاستينا ، حين قفزت إلى الحلقة فى جرأة وأنت غلام مغمور ، فكنت كشعاع الفجر بين نجوم الليل . آه ! من كانت تلك المرأة التى قبلت عيناها جسدك العاري الرشيق من خلال دموع كانت تباركك وهى جالسة بين نساء القصر الملكى وراء السجوف ؟ كيف ؟ لقد كانت أم أريونا ! حينذاك برز البرهمى أستاذ السلاح وقال : « ليس لشاب وضيع النسب أن يبارى أريونا » فوقفت لا تتكلم ، كسحابة برق تأتلق عند الغروب بنور مكتوم . ولكن من هى المرأة التى اشتعل قلبها لعارك وغضبك وأرسل فى سكون لهيبَ النار ؟ هى أم أريونا !

رعى الله دريوجانا الذى عرف قدرك ، وتوجك ثمة ملكا على الأنجا ، فكسب للكرواسى بطلا . لقد ملأ الفرح قلب أجيراتا ، فشق الحشد نحوك ، فهرعت إليه وألقيت عند قدميه تاجك ، وإذا البنداويون وأصحابهم هازئون ضاحكون . ولكن امرأة واحدة من بيت البنداويين توهج قلبها فرحا بما فى تواضعك من كبرياء البطولة — لقد كانت أيضاً أم أريونا !

كارنا — ولكن ماذا جاء بك هنا وحدك يا أم الملوك ؟

كونتى — لقد جئت أسألك معروفا

كارنا — مرينى ، وأيما سمحت رجولتى وشرفى الشاترى فسوف ألقيه عند قدميك

كونتى — لقد جئت لآخذك

كارنا — إلى أين ؟

كونتى — إلى صدرى الظامئ لحبك يا بنى

كارنا — أيتها الأم السعيدة بخمسة ملوك أشاوس ؛ كيف تجدين فى قلبك متسعاً لحبي وما أنا إلا قائد وضيع النسب ؟

كونتى — إن مكانك فيه قبل كل أبنائى

كارنا — ولكن بأى حق أحتله ؟

كونتى — بحقك الموهوب من لدن الله فى حب أمك

كارنا — ها هى ذى غبشة المساء تنتشر على الأرض ، والسكون يرين على الماء ، وصوتك يرجع بى إلى دنيا من الطفولة تتناهى فى الذكريات . فليكن هذا حلما ، أو فليكن شعاعاً من حقيقة منسية ، ولكن تعالىْ وضعى يمناك على جبيني . إن الناس يتناقلون أن أمى هجرتنى . وكم من ليلة زارتنى فى نومى ، ولكن

حين كنت أصيح بها : « إرفعي عنك القناع ، أريني محياك ! » كان شبحها دوماً يتلاشى . فهل زارني الليلة عين ذلك الحلم وأنا يقظان ؟ أنظري ! هاك المصابيح تلوح عن بعد وراء النهر مضاءة في خيام ابنك ؛ وعلى هذه الضفة خيام أصحابي الكيراويين كأمواج عاصفة في البحر علقها ساحر . لماذا يجيئني صوت أم غريبي أريونا برسالة من الأمومة المنسية ، في رهبة هذا المرج حيث يدوي طنين معركة الغد ؟ ولماذا يسكب لسانها في أسمي هذه الموسيقى فيجتذبني إليه وإلى إخوته ؟

كونتي — إذن فلا تتريث يا بني ، تعال معي !

كارنا — أجل ، سوف أجيءُ ولن أسألك سؤالا ، فلا تساورك إذن ريبة . إن روحي تستجيب لندائك ، والكفاحُ في سبيل النصر والذكر ونارُ الشنآن قد عادت أمام عيني أوهاماً وضلالات ؛ كما يتلاشى هُدَاء الليل في جلال الفجر . خبريني أنيَّ تقودينني ؟

كونتي — إلى الضفة الأخرى من النهر حيث تشتعل هذه المصابيح في شحوب الرمال المرُوع

كارنا — أوَسوف أجد هناك حتى الأبد أمي المفقودة ؟

كونتي — آه يا بني !

كارنا — إذن فلماذا طردتني شريداً جُثَّ من أرض أجداده ، مملوكاً يرَجحِنُّ في تيار من الخزيان ؟ لماذا ضربت بيني وبين أريونا هوة لا تُجتاز ، ورددت أزكى ميول الدم إلى أنكى عواطف البغضاء ؟ إنك تبقين صامتة . إن عارك يسري في الظلام البعيد ويبعث في أطراف رعدة لا ترى . أبداً لا تذكري لي ما جعلك تسلبين ولدك حب أمه ! ولكن خبريني لماذا جئت اليوم تسترجعينني إلى أطلال سماء ثلات عروشها بيديك ؟

كونتي — إن لعنة تحل عليَّ هي أشق من لومك . إني وإن تكنَّفني خمسة أبناء ليرفرف قلبي كقلب أم حرمت بنيها ؛ ومن هذا الجرح الذي انشق على أول أبنائي ، ولّت كل مسرات حياتي . في ذلك اليوم اللعين حين خنت أمومتي ، لم تكن أنت تستطيع أن تفوه بكلمة . واليوم تضرع إليك أمك القادرة أن تمنحها من لدنك ألفاظاً كريمة . دع غفرانك يحرق قلبها كالنار ويلتهم خطيئته

كارنا — أماه ، تقبلي مني دموعي ؟

كونتي — ما كان أملى من المجيء أن أعيدك إلى ذراعي ، بل لأعيد إليك حقوقك . تعال وتقبل كابن ملك مكانك بين إخوتك

كارنا — إنه أحب إلى أن أكون ابن حوذي . إني لا أتوق إلى مجد نسب أعظم من نسبه

كونتي — فليكن ذلك كما تريد . ولكن تعال واسترجع مملكتك فهي حقك !

كارنا — أتعزينني بمملكة وأنت التي استكثرت عليَّ حب أم ؟ إن صلة الرحم التي اجتثثت جذورها قد ماتت ، ولن تستطيع أن تحيا مرة أخرى . لي العار إن أنا ناديت أم الملوك أماً ، ونبذت أمي في بيت الحوذي !

كونتي — أنت عظيم يا بني ! لكم ينمو قصاص الله من بذرة ضئيلة إلى حياة حافلة ! ها هو ذا الوليد الذي نبذته أمه يعود فينبعث من ظلام الحادثات رجلاً يسحق إخوته

كارنا — أماه لا تخشي شيئاً ! إني لعلى يقين من أن النصر للبنداويين ، وفي هذا الليل الهادئ الساجي يتلئ قلبي بموسيقى من المغامرة اليائسة والنهاية الغامضة . لا تسأليني أن أنسل من بين أولئك الذين حقت عليهم الهزيمة ؛ فليكسب البنداويون العرش إذا لم يكن من ذلك بد ، ولأبعد أنا مع اليائسين والمحزونين . لقد تركتني للخزي ليلة ميلادي ، عارياً غير مُسمًّى ؛ فاتركيني مرة أخرى بغير شفقة أنتظر الهزيمة والموت في هدوء !

شكري محمد عياد